مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

في التَّسْلِيْمِ لِلْعِتْرَةِ الطَّاهِرَة:

أَثَرُ الفِعْلِ الكَلَامِيِّ فِي المُتَلَقِّي
تَحْلِيْلٌ تَدَاوُلِيٌّ لِأَقْوَالِ الإِمَامِ عَلِيِّ الهَادِي عليه السلام

ملاذ معن علي حرفوش [1]

١ جامعة اللاذقية / كلية الاداب والعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية، سوريا؛
malaz19harfosh86@gmail.com
دكتوراه في اللغة العربية / مدرس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٥/٢/٥	٢٠٢٥/٩/١١	٢٠٢٥/١٢/٣١

المُجَلَّدُ (٢٤) العَـدَدُ (٣٦)
رَجَبُ الأَصَبُّ ١٤٤٧هـ . كَانُونُ الأَوَّلِ ٢٠٢٥م

DOI: 10.55568/t.v24i36.55-82

CC BY NC

مُلَخَّصُ البَحْث:

غدت نظريَّة أفعال الكلام المرتكز الرّئيس الّذي سلَّط الضّوء على الفعل اللُّغويِّ، ومن هذه النّظريَّة انبثقت المقولات التّداوليَّة التي توسَّعت محاروها البحثيَّة، فأكَّد التّداوليُّون قوَّة الأفعال الكلاميَّة، وما يترتَّب عليها من التزامٍ في العمل، وتغييرٍ في الموقف، وتأثيرٍ في المشاعر، ورأوا أنَّ للفعل قوَّة أدائيَّة تُحدث أثراً رجعيًّا في المتلقِّي، وهو ليس مجرَّد فعل واصف أو منطوق لغويٍّ مجرَّد.

فتوقَّف البحث عند بعض مقولات الإمام عليّ الهادي عليه السلام الّتي رأى البحث فيها قوَّة إنجازيَّة، فركَّز العمل على جوهر التّلفُّظ، والكلام الّذي يحثُّ المتلقِّي على القيام بعملٍ ما، فالكلمة تؤدِّي غرضاً وظيفيّاً إنجازيًّا في شروط سياقيَّة، ومقامات خطابيَّة معيَّنة، فتوقَّفنا عند الجملِ الخبريَّةِ الّتي لُوحظ خروجها عن معنى الإبلاغ والإخبار، لتفيد معاني تحثّ المتلقِّي على القيام بها، والجملِ الإنشائيَّةِ وصيغِهِ الطّلبيَّة الّتي أفادت معاني إنجازيَّة محدَّدة، وذلك بعد أن أكَّد البلاغيُّون العرب دور الأسلوب الخبريِّ والإنشائيِّ إنجازيًّا، لكونه المقابل الأوضح لنظريَّة أفعال الكلام.

الكلمات المفتاحيَّة: التّداوليَّة، الفعل الكلاميّ، المعاني الضّمنيَّة، السّياق، الخبر والإنشاء.

Speech Act Effect on Recipient: A Pragmatic Analysis of Sayings Attributed to Imam Ali Al-Hadi (P.B.U.H.)

Malaz Maan Ali Harfoush [1]

1 University of Latakia / Faculty of Arts and Humanities / Department of Arabic, Syria;

malaz19harfosh86@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
5/2/2025	11/9/2025	31/12/2025

DOI: 10.55568/t.v24i36.55-82 Volume (**24**) Issue (**36**) Vol.24, Issue No. 36 Rajab 1447 AH / December 2025 AD

Abstract:

The Speech Act Theory becomes the main pillar that sheds light on linguistic action, and from which emerged the pragmatic principles whose research scope expands . Pragmatists emphasized the power of speech acts and the resulting commitment to action, change in attitude, and influence on emotions. They asserted that a speech act possesses a performative force that generates a retroactive effect on the recipient, making it more than merely a descriptive act or abstract linguistic utterance.

This research focuses on some sayings of Imam Ali Al-Hadi (peace be upon him) that the study identifies as having illocutionary force. The work concentrates on the essence of the utterance—the speech that motivates the recipient to perform a certain action. The word serves an illocutionary functional purpose within specific contextual conditions and rhetorical situations.

The analysis particularly addresses declarative sentences observed to depart from the meaning of mere reporting and informing, instead conveying implicit meanings that urge the recipient to act upon them, and performative sentences and their imperative forms conveyed specific performative meanings, after Arab rhetoricians emphasized the performative role of the declarative and imperative styles, as they are the clearest counterpart to the Speech Act Theory.

Keywords: Pragmatics, Speech Act, Implicit Meanings, Context, Declarative and Performative.

المقدِّمة:

يحلِّل البحث خطاب الإمام عليّ الهادي ﷺ[١] * ومقولاته وفق نظريَّة أفعال الكلام اللّسانيَّة، فيقف عند ما تداولته كتب الثّقات من أقواله الّتي جُمعت في مصادر متعدِّدة، منها كتاب "بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار"، وهو المتن الّذي رفد منه البحث مدوَّنته، وناقشها مناقشة تداوليَّة بناء على نظريَّة أفعال الكلام، فهي ترى أنَّ الكلام لا يخبرنا معلومة أو يصف لنا العالم وحسب، بل ينهى المتلقِّي عن القيام بعمل، أو يحثُّه على عمل آخر، أو يدعوه إلى تبنِّي موقف تجاه قضيَّة معيَّنة، ويكشف السّياق المرجعيّ لما ذكره الإمام ﷺ المعاني الضّمنيَّة والمقاصد التّداوليَّة لكلامه، فعمل البحث على تحليل أقواله الّتي ألفى أنّها تستدعي التّقصِّي والدّراسة.

أهداف البحث ومسوَّغاته:

طرحت هذه الدّراسة اللّسانيَّة جملةً من الأسئلة، هي: هل تُعدّ المقولات النّصيَّة المحكيَّة خطاباً إبلاغيًّا تواصليًّا؟ أتهدف اللّغة فيها إلى وصف الواقع، والدّنيا، والنّاس أم إلى إحداث أثر في المرء، وتغيير في سلوكه؟ ما المعاني الضّمنيَّة المقصودة فيما ورد من مقولاتٍ للإمام ﷺ؟

وهدفت الدّراسة إلى الإجابة عن الأسئلة السّابقة، واستقصاء مواطن الفعل الكلاميّ وأنواعه، وتحديد المعاني الضّمنيَّة، وتوضيح العمل الّذي يُطلب القيام به مؤكِّدين أنَّ ما يُقال يُعدُّ أداة لإنجاز عمل محدَّد وفق سياق الاستعمال ومقام المتكلِّم والمتلقِّي.

---

١ الطبطبائي, أبو الفضل وآخرون. موسوعة الإمام الهادي ﷺ، ج١، اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر ﷺ للدراسات الإسلامية, إشراف. محمد الحسيني القزويني وآخرون, ط١ (إيران: ساعدت وزارة الثقافة والإرشاد على طبعه, ١٤٢٤هـ), ٢٧.

* هو عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ، ويُكنّى (أبو الحسن الثّالث)، وهو الإمام العاشر. أمّا مولده فكان في الثّاني عشر أو الثّالث عشر أو الرّابع عشر من الهجرة، بحسب ما ذكر القدماء من المؤرّخين من مثل: الكليني والطّوسيّ.

منهج البحث:

يفترض البحث أنَّ الأدوات اللّسانيَّة في النّظريَّة التّداوليَّة، ونظريَّة الفعل الكلامي قادرةٌ على استقراء المادَّة اللّغويَّة، وجمعها، وتحليلها، وتصنيف الأفعال حسب دورها، وقوَّتها، والغرض الّذي تؤدِّيه في سياق استعمالها.

وشمل البحث تمهيدًا نظريًّا عن الفعل الكلاميِّ، ونشأته، وأسسه، ثمّ ورد القسم التّطبيقيُّ التّحليليُّ الّذي أدرجنا فيه أقوالًا للإمام الهادي عليه السلام، وصنَّفناها وفقاً لموضوعاتها الفكريَّة، فجاءت في قسمين: الأوَّل حمل عنوان: قضايا دينيَّة ودنيويَّة، والثّاني عنوانه: مسائل أخلاقيَّة وسلوكيَّة.

تمهيد نظريٌّ:

تُعدُّ نظريَّة أفعال الكلام (Speech Acts Theory) الرّكيزة الرّئيسة للنّظريَّة التّداوليَّة[٢] *، وقد نشأت في القرن الماضي عندما نشر "جون أوستين" (John Austin) محاضراته عن الفعل الكلاميِّ، ورأى أنَّ اللّغة الواصفة والإنشائيَّة تسعى إلى طلب القيام بعمل ما، وانطلق **"أوستين"** من فكرة مفادها أنّ كثيراً من الجمل التّي ليست استفهاميَّة أو تعجبيَّة أو أمريَّة لا تصف شيئاً، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصّدق أو الكذب، ومن الأمثلة التّي أوردها قول أحدهم للآخر: "أعدك بأنّي سآتي غدًا"، وفي هذه الجملة يعتقد أنَّك لا تصف العالم، إنَّما تسهم في تغيير موقف ما[٣].

واجتهد كلٌّ من "أوستين" و "جون سيرل" (John Rogers Serle) في دراسة الأفعال اللّغويَّة، وحدَّدا دورها وقوَّتها الإنجازيَّة، وتوصَّل "أوستين" إلى تقسيم الفعل إلى:

---

٢ يول, جورج. التداولية(PRAGMATICS), ترجمة. قصي العتابي, ط١ (الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون, ٢٠١٠), ١٩.

٣ روبول, آن و جاك, موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل, ترجمة. سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني, ط١ (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر, ٢٠٠٣), ٣٠.

* التّداوليّة نظريّة تُعنى بدراسة المعنى السّياقيّ الذّي يقصده المتكلّم، وكيفيّة إيصال أكثر ممّا يُقال.

١. فعل الكلام أو الفعل التّعبيريُّ locutionary act)).
٢. قوَّة فعل الكلام أو الفعل الوظيفيُّ ((illocutionary act.
٣. لازم فعل الكلام أو الفعل التّأثيريُّ(perlocutionary act)[٤].

أمّا فعل الكلام، فيعني التّلفُّظ بكلمة ونطقها، وأمَّا قوَّة فعل الكلام، فتدلُّ على أثر الكلمة ومفعولها الرّجعيّ في ذهن المتلقِّي، وأمّا لازم فعل الكلام، فيعبِّر عن ردَّة الفعل والأثر المتوقَّع لما يُقال، والسّلوك المتَّبع الّذي يتّخذه المتلقّي عقب ما سمعه.

ودأبت جهود اللّغويين في تقصّي الأفعال اللُّغويَّة في سياق الكلام، ودراسة الأثر الذّي تُحدثه، فنضَّد بعض اللّغويِّين الأفعال الكلاميَّة بأن يوظِّفها المتكلِّم في أن (يعلن- يعترف- يطلب- يعدُّ ...)، وتأثير الكلام قد يظهر في أن: (يرعب- يخدع- يقنع- يمنع –يربح- يضجر...)[٥]، وقوَّة الفعل تتوقَّف على مقام المتكلِّم والمتلقِّي وشروط نجاح الفعل.

ولم تكن هذه النّظريَّة الغربيَّة بمعزل عمّا جاء في تراثنا العربيّ، فقد أصّل علماء البلاغة هذه النَّظريَّة بمصطلحات مختلفة، ومباحث قريبة ممَّا ورد لدى الغرب، ومنه ما عُرف بأسلوب الخبر والإنشاء، وتُعدُّ "نظريَّة الخبر والإنشاء عند العرب – من الجانب المعرفيّ العامّ- مكافئة لمفهوم الأفعال الكلاميَّة عند المعاصرين"[٦]، فقد وُجدت تقاطعات رئيسة بين النّظريَّتين، فالكلام عند القزوينيِّ إمَّا خبريٌّ، وإمّا إنشائيٌّ، وقد يكون لنسبته خارج مطابق أو غير مطابق، وقد لا يكون له خارج أصلاً[٧]، وبذلك يفرّق بين الخبر والإنشاء؛ إذ ليس الكلام الخبريّ هو ما يحتمل الصّدق أو الكذب

٤ أوستين, جون لانكشو. نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام, ترجمة. عبدالقادر قنيني (المغرب-الدار البيضاء: أفريقيا الشرق, ١٩٩١), ١٣١.

٥ الخليفة, هشام إ. عبد الله. نظرية الفعل الكلامي *Speech Act Theory* بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي بحث في علم الفعليات, ط١ (الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان, ٢٠٠٧), ٩٦.

٦ مسعود, صحراوي . التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي, ط١ (بيروت: دار الطليعة, ٢٠٠٥), ٤٩.

٧ القزويني, جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة, شرح وتعليق. محمد عبد المنعم خفاجي, ط٣ (مصر: دار التوفيق النموذجية للطباعة, ١٩٩٣), ٥٥_٥٦.

فقط، فقد وردت أنواع الخبر في كتاب الإيضاح للقزوينيّ على أنّه ثلاثة أقسام "صادق وكاذب، وغير صادق ولا كاذب. لأنّ الحكم إمّا مطابق للواقع مع اعتقاد الخبر له أو عدمه، وإمّا غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه"[٨]، فالأسلوب الخبريٌّ لا يُؤسِّس على مفهوم الصّدق في القول أو الكذب فحسب، إنّما تعدَّاه إلى معانٍ ضمنيَّة يكشف عنها سياق الكلام، والكلام الإنشائيُّ الذّي صُنِّف في صيغ طلبيَّة وغير طلبيَّة، ومعانٍ متنوَّعة يحثّ المتلقِّي على الأخذ بعمل ما والتّفكير فيه لكونه يقع في سياق محدَّد.

وسنرفد في البحث أنواع الفعل الكلاميّ، ونكشف المعاني الضّمنيَّة والمقاصد التّداوليَّة التي تزخر بها الأقوال التّالية.

المناقشة والتّحليل:

القسم الأوَّل: قضايا دينيَّة ودنيويَّة:

يتضمَّن هذا القسم تحليلاً تداوليًّا للّغة وفق نظريَّة أفعال الكلام، لمعرفة المقاصد التَّداوليَّة الّتي يحملها الكلام، وتحديد الأفعال الّتي يُطلب من المتلقِّي القيامُ بها.

جاء قول الإمام عليٍّ الهادي عليه السلام: **"الشّاكرُ أسعدُ بالشّكرِ منهُ بالنّعمةِ الّتي أوجبتِ الشّكرَ، لأنَّ النّعمَ متاعٌ، والشّكر نِعمٌ وعقبى"**[٩].

الجمل الواردة في قول الإمام هي جملٌ خبريَّةٌ على سبيل الحكميّات[١٠]*، وجاءت في صيغة الخبر الخارج عن معنى الإخبار ونقل المعلومة إلى معنى يفيد تحريك الهمم[١١] ** تجاه عمل ما، فالنّعمة الّتي وُهبت للمرء من دون فضلٍ أو منيةٍ واجبة الشّكر، وبالشّكر تدوم النّعم، وغبطة الشّكر أروع من الشّكر نفسه، ومن يحمد

٨ القزويني, ٦١.

٩ محمد باقر المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهارعليهم السلام، ج ٧٥ و٧٩ (بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٩٨٣), ٣٦٥.

١٠ أوستين, نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام, ٦٢.

١١ أحمد مطلوب, معجم المصطلحات البلاغية وتطورها عربي- عربي, ط٢ (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون, ٢٠٠٧), ٤٨١.

* استنتجَ أوستين أنواعاً للفعل الكلاميّ، منها: الحكميّات.

** من معاني الخبر الخارج عن معناه تحريك الهمم.

الله تعالى تزددْ نعمه، ويعظم ثوابه، وفي قوله دعوة إنجازيَّة تعزِّز مفهوم الشّكر، وتبيِّن انعكاسه في نفس المرء، ودوره في إسعاده، وتحثُّه على تحاشي التّذمُّر أو الاستياء من عواقب الأمور ونوائب الدّهر الجمَّة.

إنَّ نِعَمَ الدّنيا لا متناهيّة، لكنّ الانشغال بملذّات الحياة تصرف النّاس عن الحمد، والنّسيانُ سمة تُلازم المرء، فجاء قوله ليحثّ النّاس على الشّكر من جهة، ويدلُّ على متعة الشّعور المرافق له، والامتنان الّذي يجلب لصاحبه الرّضا من جهة ثانية، وفي هذا السّياق يقول أمير المؤمنين ﷺ: **"الحمدُ لله الواصلِ الحمدَ بالنّعمِ، والنعمَ بالشّكرِ. نحمدُهُ على آلائِهِ كما نحمدُهُ على بلائِهِ"**[١٢]، فهو يؤكِّد وجوب الحمد في السّراء والضّرَّاء، ويجعل الحمد بوصلة استمرار النّعم، ومسلكاً من مسالك الخير.

ويقول أبو الحسن الثّالث ﷺ: **"إنَّ اللهَ جعلَ الدّنيا دارَ بلوى، والآخرةَ دارَ عقبى، وجعلَ بلوى الدّنيا لثوابِ الآخرةِ سبباً، وثوابَ الآخرةِ من بلوى الدّنيا عوضاً"**[١٣].

بدأ الإمام كلامه بجملة خبريَّة خبرها طلبيّ، وهي فعل كلاميٌّ إنجازيٌّ على سبيل التّأكيديَّات، وخرج الخبر عن معناه ليفيد معنى الوعد والوعيد[١٤] *، ويبين حال الدّنيا، وما يؤول إليه مصير الإنسان فيه، ولعلَّ الإمام أراد الإفصاح عن حكمةِ ذكر الآخرة لما فيها من عزاءٍ للمؤمن، وتثبيت لقلبه في مواجهة الرزايا، فالدّنيا – وفق المسلَّمات الدّينيَّة– دار الفناء، والآخرة دار البقاء، يترتَّب على ذلك الإسراف في العمل الصالح، واستمرار تذكير النّفس بالآخرة، والتّرفع عن متاع الدّنيا الزّائلة، ومغرياتها الباهرة.

---

١٢ علّي بن أبي طالب ﷺ, نهج البلاغة الإمام أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب ﷺ، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي, شرح. صبحي الصالح وأنوار الهدى, ط١ (بيروت, ٢٠٠٦), ٢١٢.

١٣ المجلسي, محمد باقر. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ﷺ، ج ٧٥ و٧٩ (بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٩٨٣), ٣٦٥.

١٤ مطلوب, أحمد . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها عربي– عربي, ط٢ (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون, ٢٠٠٧), ٤٨٢.

* ورد الخبر في البلاغة بمعنى الوعد والوعيد.

وقد حضّ الإسلام في غير موضع على توخِّي الحذر من النّفس، والزّهد عن مزايا الحياة البائدة حين قال الإمام عليّ عليه السلام: **"فاتّقوا اللهَ عبادَ الله، وبادرُوا آجالَكُمْ بأعمالِكُمْ، وابتاعُوا ما يبقى لكمْ بما يزولُ عنكمْ"**[١٥]، فقرن التّقوى بالعمل الحسن، والعمل الحسن بالجزاء والثّواب، وسعى كلُّ من الأولياء والأئمَّة والصّالحين إلى مبادرة أذهان المؤمنين بزيف الدّنيا وخداعها، وبسرعة اقتراب الأجل، فحثّوا العباد على توخّي الحذر، والطّاعة، والعبادة، وتمثُّل كلِّ أعمال الخير قبل فوات الأوان، ومرور الزّمان.

ويقول الإمام الهادي عليه السلام أيضاً: **"الدّنيا سوقٌ، ربحَ فيها قومٌ وخسرَ آخرون"**[١٦].

الحديث عن الحياة الدّنيويَّة يتردَّد في كثيرًا في أقوال الأئمَّة عليهم السلام، فالدّنيا في نظرهم دار فناء، لا جدوى من الانخداع في زيفها، وقد صاغ كلامه في تشبيهٍ بليغٍ حين شبَّه الدّنيا بالسّوق، وسعى إلى تقريب الصّورة من واقع الحياة الّتي نعيشها، وجعل الحياة أمام مفترق طرق من الرّبح والخسارة.

يُضمر الفعل الكلاميُّ معاني ضمنيَّة عن الرّبح المنطوي على العمل الصّالح، والخلق الحسن، والحكم بالعدل أو الجور، والخسارة بما تحمله في قلبك من الفسق والضّلال، والغشّ والكذب، وتترك هذه المعاني الضّمنيَّة أثرها في نفس المتلقِّي فيما إذا أدرك المقاصد التّداوليَّة، فتُحبِّبه في أمر ما، وتنفِّره من آخر، وتحثُّه على ملء ميزان حسناته بما يُرضي ربَّه، وبما يَصلح من طيب العمل، فالآخرة ستكون يوم الفصل، وفيها سيُحكم على النّاس بالعقاب والثّواب، وسيربح من أذكى نفسه بالحسنات، ومن أرضى ربَّه بالطّاعة، وسيخسر من أغرته زينة الدّنيا، ومتاعها، وجاهها.

---

١٥ علّي بن أبي طالب عليه السلام نهج البلاغة الإمام أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب عليه السلام وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي, ١٠١.

١٦ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهارعليهم السلام، ج ٧٥ و٧٩, ٣٦٦.

ويقول أيضًا: **"مَن اتّقى اللهَ يُتّقى، ومَنْ أطاعَ اللهَ يُطاع [...] مَنْ أطاعَ الخالقَ لم يبالِ بسخطِ المخلوقِ، ومنْ أسخطَ الخالقَ فأيقنَ أنْ يحلَ بهِ الخالقُ سخطَ المخلوقِ، وإنَّ الخالقَ لا يُوصفُ إلّا بما وصفَ بهِ نفسَهُ، وأنّى يُوصفُ الخالقُ الّذي تعجزُ الحواسُّ أنْ تدركَهُ، والأوهامُ أنْ تنالَهُ، والخطراتُ أنْ تحدَّهُ، والأبصارُ عنِ الإحاطةُ بهِ، جلَّ عمّا يصفُهُ الواصفونَ، وتعالى عمَّا ينعتُهُ النّاعتونَ، نأى في قربِهِ، وقربَ في نأيِهِ، فهوَ في نأيِهِ قريبٌ، وفي قربِهِ بعيدٌ"**[١٧].

يعرض المتكلِّم عدداً من الأعمال الإنجازيَّة الواردة في أسلوب خبريٍّ غير مباشر، فيجعل من التماس مرضاة الله ﷻ وطاعته منهجًا إنسانيًّا قائمًا وقوّامًا، ويكشف السّياقُ المقاميُّ[١٨] * قيمةَ الطّاعة ووجوبها على الأئمَّة، والصّالحين، والأولياء، والنّاس أجمعين، فقد جعل طاعة المخلوق لربِّه، وتعاليمه الدّينيَّة، ورسله، وأئمَّته شرطاً رئيساً ومتمِّماً للدّين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(النساء: ٥٩)، فامتثالهم للدّين، وتشريعاته، وأحكامه، وأوليائه أساس لنجاتهم، وسبب من أسباب صلاحهم.

وعُدّت أفعال الكلام تمظهرًا "للقصد التّواصليّ، ذلك أنَّ فهم القصد التّواصليِّ للمتكلِّم لا يعتمد فقط على الدّلالة اللّسانيَّة للقول، بل ينطلق منها ويتجاوزها بتشغيل كلِّ أنواع المقدِّمات والمؤشِّرات والقرائن السّياقيَّة"[١٩]، فالكلام المقصود يغدو فعلاً إنجازيًّا وفق سياق لغويٍّ معيِّن، والسيَّاق حثَّ على طاعة الخالق لأنَّها سبب للعمل الصالح في الدّنيا، وسبيل لنجاة المرء في الآخرة.

١٧ المجلسي, ٣٦٦.

١٨ فان ديك وآخرون., نظرية الأدب في القرن العشرين, ترجمة وتقديم. محمد العمري, د.ط. (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق, ١٩٩٦), ٧٨.

١٩ عشير, عبدالسلام. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج (المغرب: أفريقيا الشرق, ٢٠٠٦), ٥٤.

* من أنواع السّياق: السّياق التّداوليّ، والمعرفيّ، والاجتماعيّ، والنّفسيّ.

إنَّ الحضّ على الإيمان بالله عزّوجلّ، وتعاليمه مهمَّة واجبة على كلِّ ذي مكانة دينيَّة، فالله تعالى شرّع الدّين، وأمر النّاس بطاعته أجمعين، واصطفى من خلقه من ترفَّع عن صغائر الدّنيا، ومن جعل الدّين منهجه، ذلك الانتقاء يزيد عبء مسؤوليَّة الأنبياء والأئمَّة، ويُلزمهم اتّباع التّعاليم كاملة عقلاً، وقلباً، وسلوكاً، فهم مَثَل رفيع، وأسوة حسنة.

وورد قوله عن الدّنيا والآخرة: **"النّاسُ في الدّنيا بالأموالِ وفي الآخرةِ بالأعمالِ"**[٢٠].

جاء الكلام الخبريُّ على صعيد الحكميَّات، ليؤكِّد وزن المال وقيمته، وكونه واحدًا من متاع الدّنيا الّذي يَعزّ على المرء تجاهله أو الزّهد عنه، وهو وسيلة من وسائل العيش، وسبب من أسباب السّعي والعمل، ولا حرمانيَّة إزاء جمعه، لكنّ ما يجرُّه من جشع، وطمع قد يسبِّب أزمة اجتماعيَّة، وأخلاقيَّة، واقتصاديَّة.

وقد قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾(الكهف: ٤٦)، فبيَّن مدى بهاء المال ومتعته، وسعي المرء الدّائم لجمعه، والاستمتاع به في معيشته، وما يجرُّه ذلك من الانشغال به عن العبادة، والعمل، والطاعة، وأكَّد أمير المؤمنين عليه السلام قيمة الدّار الآخرة في قوله: **"أزمعُوا عبادَ الله الرّحيلَ عنْ هذهِ الدّارِ المقدورِ على أهلِهَا الزّوالُ، ولا يغلبنَّكُمْ فيها الأملُ، ولا يطولَنَّ عليكمْ فيها الأمدُ"**[٢١]، فالفعل (أزمعوا) فعلٌ إنجازيٌّ تأثيريٌّ يوضِّح السّياقُ اللغويُّ معناه، ويبعث النّفور في النّفس إذا ما سوَّلت نفسك لك عشق الدّنيا ومغرياتها الخدَّاعة، فهي دار الزّوال، وما وجود المرء فيها إلَّا برهة من الزّمن، فمنْ يأخذ بالنّصح يكسب، ومنْ يتّعظ يسلم.

وذكر الإمام عليّ الهادي عليه السلام النّعم مجدّداً قائلاً: **"القوا النّعمَ بحسنِ مجاورتِها والتمسوا الزّيادةَ فيها بالشّكرِ عليها، واعلمُوا أنَّ النّفسَ أقبلُ شيءٍ لما أعطيت وأمنعُ شيءٍ لما منعت"**[٢٢].

---

٢٠ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهارعليهم السلام، ج ٧٥ و٧٩, ٣٦٩.

٢١ عليّ بن أبي طالب عليه السلام نهج البلاغة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي, ٩٣.

٢٢ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٧٥ و٧٩, ٣٧٠.

تغدو الأفعال (ألقوا – التمسوا- اعلموا) أفعالاً كلاميَّة طلبيَّة ذات طابع تأثيري، ويخرج الأمر عن معناه إلى معنى الإرشاد[٢٣]*، فتترك هذه الأفعال أثراً في نفس المتلقِّي، وتجعله شريكاً في العمليَّة التّخاطبيَّة، وطرفاً ثانياً في الخطاب، لتنتقل الأفعال إلى مرحلة الأداء والإنجاز، فتُلزم - إن جاز التّعبير- المتلقِّي على اتّخاذ موقف من الحمد والشّكر، بوصفه مُسلِماً مؤمناً بتعاليم الإسلام، وتابعاً لسنن الرّسل، كما أنَّها تغريه بزيادة النّعم، ومضاعفة الأجر فيما إذا ذكر ربَّه، وأثنى على نعمائه الّتي لا تُحصى.

القسم الثّاني: مسائل أخلاقيَّة وسلوكيَّة:

تنوَّعت أحاديث الأئمَّة، واختلف مضمونها لتشمل قضايا وجوديَّة وإنسانيَّة ترتبط بالمرء والحياة ارتباطاً مباشراً، ومنه ما جاء عند الإمام الهادي ﷺ من أقوال خطَّت سلوك النّاس، ورسمت لهم منهجاً سليماً ومتماسكاً.

يقول الإمام عليّ الهادي ﷺ متحدِّثاً عن الرَجلين النّقيضين؛ العادلِ والظالم: **"إنَّ الظّالمَ الحالمَ، يكادُ أنْ يُعفى على ظلمِهِ بحلمِهِ، وإنَّ المحقَّ السّفيهَ، يكادُ أنْ يُطفئَ نورَ حقّهِ بسفهِهِ"**[٢٤].

ورد الكلام في صيغة الخبر الطلبيِّ، وبدا للمتلقِّي عمليَّةً كلاميَّة وعظيَّة، غير أنَّ التّداوليَّة عدَّت القول جزءاً من الفعل، أي إنَّ الكلمات هي جزء من الأفعال أو الأعمال الّتي نلتزم القيام بها[٢٥]، فأشار الكلام إلى الخطّ الفاصل بين العمل الّذي تُنفذِّه، والسّلوك الّذي تتحلَّى به في أثناء مهمَّتك، فمن يظلم عباد الله، ويُخطئ في تقدير أمورهم بقصد أو بغير قصد، ثمَّ يأتمر بالرّويَّة والحلم يكنْ جزاؤه أقلّ من

---

٢٣ مطلوب, معجم المصطلحات البلاغية وتطورها عربي- عربي, ١٨٦.

٢٤ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٧٥ و٧٩, ٣٦٥.

٢٥ هوانغ, يان . معجم أوكسفورد للتداولية (The Oxford Dictionary of Pragmatics), ترجمة. هشام إبراهيم عبد الله الخليفة, ط١ (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة, ٢٠٢٠), ٦١٨.

* من معاني الأمرِ الإرشادُ.

رجل آخر على صواب وحقّ، غير أنَّه فظّ المعاشرة يفتقر إلى الحكمة والتؤدة، فيخرج الخطاب عن مجرِّد الإخبار إلى النّهي[٢٦] *، ويدعو إلى فعل إنجازيٍّ يتمثَّل في تجنُّب الغضب وتوخِّي الحلم، واتّباع الرزانة في التّصرُّف والكلام، وتحاشي العصبيَّة الجاهليَّة الّتي تقلِّل من شأن صاحبها.

ويدلُّ السّياق التّداوليُّ للمقولة على مقام كلا الرّجلين؛ الظّالم والمحقُّ، فكلَّما ازدادت مكانة كلٍّ منهما، وعلا شأنهما زادت قوَّة أحكامهما، وتأثيرهما في العامَّة من النّاس، فإنْ كنت ذا سلطة أو مقام رفيع، فمسؤوليَّتك أعظم، وشروط سلوكك الرّزين أوجب، فحلمك مفتاح قوَّتك، وسبيل وعيك، وسعة اطِّلاعك على شؤون الرّعيَّة، وما يجرُّه ذلك من ارتفاع ثقتهم بك، وامتثالهم لأمرك، أمَّا فقدانها، فدليل على ضعفك، وانهزامك أمام الشّدائد.

ويقول في الودّ: **"منْ جمعَ لكَ ودَّهُ ورأيَهَ فاجمعْ لهُ طاعتَكَ"**[٢٧].

تخرج الجملة الخبريَّة عن مجرَّد الإبلاغ عن حقيقة ما، وتفيد معنى الطّلبيَّات، وتحثُّ المتلقِّي على الامتثال إلى طاعة الحاكم العادل، ويربط السّياق المرجعيُّ للجملة بين الحاكم والرّعية، ويدعو الفعل الإنجازيّ إلى طاعة الإمام بأمارة ما يجمعه من خلق وحكمة وأصل ونسب.

ويُعدُّ مفهوم الطّاعة محوراً مهمًّا في الدّين، فهو نوع من الالتزام الأخلاقيِّ والدّينيِّ، وسبق ذكرُ الطاعة لدى الإمام عليّ عليه السلام في قوله: **"فاجعلُوا طاعةَ الله شعاراً دونَ دثارِكُمْ، ودخيلاً دونَ شعارِكُمْ، ولطيفاً بينَ أضلاعِكُمْ، وأميراً فوقَ أمورِكُمْ"**[٢٨]، فجعلَ طاعة الخالق خطبة يُوصِّي بها المؤمنون به، والنّاطقون باسمه، والآمرون بأمره.

---

٢٦ مطلوب, معجم المصطلحات البلاغية وتطورها عربي- عربي, ٤٨٢.

٢٧ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج ٧٥ و٧٩, ٣٦٥.

٢٨ عليّ بن أبي طالب عليه السلام نهج البلاغة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي, ٣٩٤.

* من معاني أسلوب الخبر أن يدلّ على النّهي.

وجاء قول الإمام الهادي ﷺ في الإشارة إلى سجيَّة معيَّنة: **"مَنْ هانَتْ عليهِ نفسُهُ فلا تأمن شرَّهُ"**[٢٩].

وردت الجملة الخبريَّة في صيغة الطّلبيَّات القائمة على النّهي (لا تأمنّ ...)، واتّبعت سمة التّنبيه والتّحذير، فالمتكلِّم يكشف طبعاً من طباع المرء المتخاذل، هو ضعف النّفس، وذلّها، وهوانها، ففاقد الأخلاق لن ينظر إلى أخلاقك، وخاسر المبادئ لن يرحم تمسُّكك بها، وخائن العهد وناكثه لا يقدّر تشبُّثك به، ذلك أنَّ الإنسان لا يعي إلَّا ما يؤمن به، ولا يهب إلَّا ما يملك، فلا يُوثق جانب إلَّا مَن صفت نفسه من كلِّ كدر، وتحلَّت روحه بالشّيم الحسنة.

والنّاس في المجتمعات تندمج فيما بينها، وتتوطَّد علاقاتها، وتتبادل المصالح بين بعضها بعضاً، فتنخدع بالظّاهر، ولا تعرف الباطن أو تكشفه، لذا وجب عليك فهم طبع المرء وسجاياه، وإدراك نيَّة صديقك أو خصمك تجاه نفسه، وتجاه الآخرين قبل الوثوق به.

وقال الإمام الهادي ﷺ فيمن يُكثر من المديح: **"أقبلْ على ما شأنك فإنَّ كثرةَ الملقِ يهجمُ على الظّنّةِ، وإذا حللتَ من أخيكَ في محلِّ الثّقةِ فاعدلْ عن الملقِ إلى حسنِ النّيّةِ"**[٣٠].

ورد الحديث بصيغة الطّلبيَّات الأمريَّة، وخرج الأمر إلى معنى يفيد الإرشاد، فحمل المتكلِّمُ المتلقِّي على إنجاز فعل سلوكيٍّ يتعلَّق بترك التّملُّق، وتفادي كثرة المديح والإفراط في الثّناء، وحثّه على الوثوق بمن هم أهلٌ للثّقة، وشجَّعه على الاعتدال في المديح، والتّقليل من كثرة الإطراء، والنّأي عن الرّياء، واللّجوء إلى طّاعة الرّسل، والأئمّة، وتعاليمهم عوضاً عن المغالاة في الثّناء على مَن هم أرفع من كلِّ ثناء.

---

٢٩ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٧٥ و٧٩, ٣٦٩.
٣٠ المجلسي, ٣٦٩.

وجاء قوله في وصف الصّابرين: **"المصيبةُ للصّابرِ واحدةٌ، وللجازعِ اثنتان"**[٣١].

يدعو الكلام إلى التّحلّي بالصّبر، وجعلِهِ سمةً إنسانيَّة أمام صعاب الحياة وموبقاتها، فالصّبر على الشّدائد والمحن دليل على شدَّة الإيمان بالأقدار، والامتثال للقضاء، أمَّا الخوف من الرّزايا، والوهن أمام المصائب فيُضمران مزيداً من الآلام للمرء، ويُضعفان دينه، ويوهنان إيمانه أمام خالقه. وهنا يدعو المتكلِّمُ المتلقِّي إلى الصّبر على الظّلم، وعلى حقد العدو وعدائه، يقول تعالى: ﴿**واصبرْ لحكمِ ربِّك**﴾ (القلم: ٤٢) ، فانتظار حكم الله تعالى، وأقداره أمرٌ فرضه على عباده، وبشّرهم بالعقبى والثّواب، فالتّجلُّد سبيل لحياة إنسانيَّة مستقرَّة.

لكنّ عدم الرّضا بالواقع لا يغيّره، والأجدر أن تواجه الواقع بما هو واقع إنْ لم تستطع تغييره، فأولئك الأفراد الّذين يفشلون في التّعايش مع حوادث الدّهر ينجرفون في جرعات من القلق والاضطراب، وبذلك تتحوَّل المصيبة عند هؤلاء إلى مصيبتين[٣٢] ، فقبول الواقع بأقدار الله وقضائه أمرٌ، وقبول الظّلم أو الذّل أمرٌ آخر، فما يواجه المرء من قضاء محتوم، ومصيبة هي من عند الله تعالى، ولا ردّ لقضائه، ولا اعتراض يمنعه، والإسلام يذكّر المؤمنين بوجوب الامتثال للقدر، والتّجلُّد أمام الأهوال مهما اشتدَّت على الإنسان، وإلى مثل هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى ذلك قائلاً: **"الصّبرُ على ثلاثةِ أوجه: صبرٌ على المعصية، وصبرٌ على المصيبةِ، وصبرٌ على الطّاعة"**[٣٣].

فالصّبر الّذي يتداوله النّاس بالوصف هو الصّبر على نوائب الدّهر، لكنّ توضيح أوجُهه يزيد قيمته، ويُفسح المجال لإدراك أنواعه، فيؤكِّد الإمام عليه السلام واجب الطّاعة، وتحمُّل عبء التّشريع وقوانينه الصّارمة، وضرورة الالتزام بسنن الدّين، وعدم الاعتراض على ما يُقرَّه الشّرع.

---

٣١ المجلسي, ٣٦٩.

٣٢ اليوسف, عبد الله أحمد. الإمام علي الهادي عليه السلام قراءة تحليلية للسيرة الفكرية والسياسية في حياة الإمام الهادي عليه السلام, ط٢ (إيران-طهران: دار البصائر, ٢٠٠٤), ١١٩.

٣٣ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج ٧٥ و٧٩, ١٣٦.

ويقول الإمام الهادي ﷺ: **"والعجبُ صارفٌ عنْ طلبِ العلمِ داعٍ إلى الغمطِ والجهلِ، والبخلُ أذمُّ الأخلاقِ، والطّمعُ سجيّةٌ سيّئةٌ"**[٣٤].

إنَّ الحديث هنا يندرج في منهج التّوجيهيَّات السّلوكيَّة، ويضمُّ مسائل أخلاقيَّة متعدِّدة يجب الاقتداء بها، ويقتضي مقاصد غير مفصح عنها في ظاهر الكلام، والاقتضاء هو "المضمون الّذي تبلِّغه الجملة بكيفيَّة غير صريحة"[٣٥]، فالتّعجُّب من غرائب الكون أمرٌ تترتَّب عليه أسئلةٌ كثيرة لا إجابة عنها إلّا بالبحث والتّقصِّي، والبحث سبيل المعرفة، ومدخل واسع إلى تكوين الخبرات وتعميق التّجارب، ومخرج من الجهل والعبث.

أمَّا البخل، وما يجرّه من جشع وطمع، فسجيّة ذميمة لا حدَّ فيها لشهوات المرء ورغباته، وقد يتعدَّى بسببها على ملكيَّة الآخرين، وملكهم، ومكانتهم، وهو من السّمات السّيِّئة التي يُوصم بها المخلوق، وللبخل نوعان: الماديُّ والمعنويُّ، فأمَّا الماديُّ، فهو شحّ، وتقتير، وتجميع للمال، وما يجرُّه من منع الصّدقات والهبات، والنّفقة في سبيل الخير والدّين، **قال تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾**(الهمزة: ١ _ ٣)، وأمّا المعنويُّ منه، فيأتي في إخفاء النّصح والإرشاد والهداية، وعدم تقتير المعرفة، أو التّقصير في المساعدة.

ويؤكِّد الإمام عليٌّ ﷺ طهارة النّفس عند وهب المال والزّكاة في قوله: **"ثمَّ إنَّ الزكاةَ جُعلَتْ معَ الصّلاةِ قُربانًا لأهلِ الإسلامِ، فمنْ أعطاها طيّبَ النّفس بها، فإنَّها تجعلُ لهُ كفّارةً، ومنَ النّارِ حجازاً ووقايةً"**[٣٦]، فيحثّ المتلقِّي في كلامه على واجب العطاء، وعدم التّقتير أو المنع، فالزّكاة تُزيل شوائب النّفس، وتُعين كلَّ ذي عوز وحاجة، وتسهم في بناء المجتمع وتماسكه، وتجعل الناس سواسية.

---

٣٤ المجلسي, ٣٦٩.

٣٥ روبول وموشلار, التداولية اليوم علم جديد في التواصل, ٤٧.

٣٦ علّي بن أبي طالب ﷺ, نهج البلاغة الإمام أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب ﷺ، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي, ٤٠٠.

وورد قوله في مفهوم العتاب: **"العتابُ مفتاحُ الثّقالِ، والعتابُ خيرٌ منَ الحقدِ"**[٣٧].

الكلام الإخباريُّ يدعو إلى فعل إنجازيٍّ، ويحثُّ على ممارسة البوح، والتّخلُّص من الحقد وحمل الضّغينة، غير أنَّ للعتاب حدودًا لمّح إليها الإمام عليّ عليه السلام في قوله: "لا تُكثر العتابَ، فإنَّ العتابَ يورثُ الضّغينةَ والبغضةَ وكثرتهُ من سوء الأدبِ"[٣٨]، فالعتاب يُورث المودَّة، أمّا إطلاقه فهو خطأ سلوكيٌّ، فعلى المرء الإشارة إلى الخطأ، وتقويمه، وتصويبه، وفتح سبل الحوار بين النّاس، والتّخلُّص من البغض وحلِّ الخلافات بينهم.

وجاء قوله في الهزل: **"الهزل فكاهةُ السّفهاءِ، وصناعةُ الجهّالِ"**[٣٩].

يبعث الحديثُ في النّفس النّفورَ من الهزل، ومن اتّباع نهج الفكاهة والهرج، ويحرِّض المتلقِّي على إدراك مساوئه، فهل المرح أو الهزل سمة مذمومة أم أنَّه سلوك يقلّل من شأن صاحبه؟

إنَّ المؤمن يستثمر حياته في سبيل رضا ربِّه، ويتمتَّع بالمسؤوليَّة، أمَّا من يهدر عمره في العبث، فهو من الجهلاء[٤٠]، فتتجلَّى في قوله فكرةٌ مفادها أنَّ العمل من جنس صاحبه، وسلوك الفرد يعبِّر عن خلقه ومنبته، وكلَّما ارتقت مكانته، ومقامه ازدادت حاجته إلى الجدِّ والالتزام.

ويقول: **"السّهرُ ألذُّ للمنامِ، والجوعُ يزيدُ في طيبِ الطّعامِ"**[٤١].

يدعو الحديثُ النّاسَ إلى قيام اللّيل، فما الغاية من السّهر؟ وما الحجَّة في تسويغه؟

إنَّ المقام الكلاميَّ يوضِّح قيمة السّهر في العبادة، والصّلاة، والدّعاء، فالنّهار

---

٣٧ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج ٧٥ و٧٩, ٣٦٩.

٣٨ البستي, أبو حافظ حاتم محمد بن حبان التميمي. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء, تحقيق. محمد عبد الفتاح إسماعيل, ط١ (مركز تبصير, ٢٠٢٤), ١٨٢.

٣٩ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج ٧٥ و٧٩, ٣٦٩.

٤٠ اليوسف, الإمام علي الهادي عليه السلام قراءة تحليلية للسيرة الفكرية والسياسية في حياة الإمام الهادي عليه السلام, ١١٨_ ١١٩.

٤١ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج ٧٥ و٧٩, ٣٦٩.

للعمل، وكسب لقمة العيش، أمّا المساء، فهو وقت السّكينة، والطّمأنينة، والعبادة الّتي تجمع المؤمن مع ربِّه، وتقرُّبه منه، وتذكّره أنَّ الله تعالى معه، ويراقب عمله، ويسمع دعاءه، ولسوف يستجيب للمؤمن الصّادق الأمين، فحملت الجملة الخبريَّة صيغة الطّلبيَّات، ووجَّهت سلوك العباد إلى العبادة.

أمَّا التّحريض على الجوع، فجعله سبباً من أسباب اشتهاء الطّعام، والجوع في سبيل الصّيام مرضاة لله عزّ وجلّ، وإخلاص للدّين وتعاليم الإسلام، وسبيل من سبل التّقشُّف والزّهد عن الطّيِّبات، تلك الّتي وهبها الله تعالى لعباده، وجعلها حلالَ المؤمن، لكنَّه فرض حدًّا أمام شهواته، فالإسراف طريق من طرق الفساد والتّرف، ونأي عن الشّعور بالآخرين، واستهلاك للموارد الدّنيويَّة في غير ضرورة، وقد جعل تعالى الصّيام هدفاً ووسيلةً، وعن قيمة الصّيام في الدّين وواجب الالتزام به قال الرّسول صلى الله عليه وآله عندما سأله أعرابيّ عن عمل يُدخله الجنَّة، فقال: "تعبدُ اللهَ، ولا تُشرك به شيئاً، وتقيمُ الصّلاةَ المكتوبةَ، وتؤدِّي الزّكاةَ المفروضة، وتصومُ رمضان"[٤٢].

لم يترك الإمام عليه السلام صغيرة أو كبيرة تُفلت منه، فتوقَّف عند تفاصيل سلوكيَّة، وطباع إنسانيَّة متنوِّعة، فقد جاء قوله في الغضب: **"الغضبُ على منْ تملكُ لؤمٌ"**[٤٣].

جاءت الجملة في صيغة الخبر على سبيل السّلوكيَّات، وخرجت عن مجرَّد الإخبار إلى معنى التّوبيخ[٤٤] *، فعبَّرت عن سوء الطّباع المتَّسمة بالغضب، وقد عدَّه المتكلِّم لؤمًا وإساءة تجاه الأضعف منك، ولا سيَّما غضب الإمام من رعيَّته، أو الحاكم من محكومه، أو من كلِّ صاحب مقامٍ وجاهٍ أمام من هو أقلّ منه شأناً، فغضبك من هؤلاء استبداد، وتجبُّر، وتسلُّط، والغضب سمة ذميمة ومستقبحة، وفي هذا المقام يدعو الكلام إلى كظم النّفس عند الغضب، والتّسامح والمغفرة، وإمساك

٤٢ البخاري, أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسننه وأيامه المجلد ٢, ط١ (مكة: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية, ١٤٢٢هـ), ٢٤.

٤٣ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج ٧٥ و٧٩, ٣٧٠.

٤٤ مطلوب, معجم المصطلحات البلاغية وتطورها عربي- عربي, ٣٧٠.

* يفيد الخبر معنى التّوبيخ.

المرء نفسه عن الأذى والضّرر.

إنَّ موقع المتكلِّم ومقامه -بوصفه إمامًا هاديًا- يدعوه إلى توجيه سلوك أولي الأمر الّذين يملكون القرار والشّأن، وينصحهم بضبط نفسهم عند السّخط والغضب، فهم قدوة عليا، ومثل رفيع لهم.

وقال واصفًا الحكمة ومدى أثرها في الفاسدين: **"الحكمةُ لا تنجعُ في الطّباعِ الفاسدةِ"**[٤٥].

جاء مفهوم الحكمة عند ابن سينا بأنَّه: "استكمال النّفس الإنسانيَّة بتصوُّر الأمور، والتّصديق بالحقائق النّظريَّة والعمليَّة على قدر الطّاقة البشريَّة"[٤٦]، فللحكمة نوعان، نظريَّة معرفيَّة، وعمليَّة معرفيَّة وتطبيقيَّة، ومن هنا يترك كلام الإمام عن الحكمة أثراً عميقاً في المتلقِّي إذا ما كان مجبولاً على التّفكير المعمِّق والمسائل الدّقيقة، ويثير لديه دافعيَّة التّفسير والتّأويل، والتّفتيش عن المعاني الضّمنيَّة المقصودة، فما ورد يُشير إلى سماتِ فئةٍ من المرء ذوي الأخلاق السّيِّئة الّتي لا يُقوّم اعوجاجَها قولُ الصّواب، ولا تهديها خطبة الحقِّ، ولا تنفع معها حكمة نظريَّة ولا عمليَّة، فهي مشوَّهة وفاسدة، ولا تملك آذانًا مستمعة.

وقد جاء قوله على سبيل الإفصاحيَّات، فالطّباع صورة أصيلة يُجبَل عليها الإنسان، وإذا ما كانت طباعه مذمومة، ومستقبحة فإنَّها ستفسد خلقهم، وتصمّ آذانهم، وتقصيهم عن الاهتداء والنّجاة.

إنَّ مقام المتكلِّم ومكانته - بوصفه إمامًا- يقتضي توجيه الأئمّة والحكَّام إلى الرّشد والصّواب، غير أنَّه في الوقت نفسه يُدرك طباع النّاس، ويعي سوء نواياهم الّتي يبطنونها، فيغدو كلامه فعلاً تحذيريًّا يدعو من خلاله إلى الانتباه والحذر، وعدم الإسراف في الحكمة أمام من ليسوا أهلاً لها.

---

٤٥ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٧٥ و٧٩, ٣٧٠.

٤٦ ابن سينا, عيون الحكمة, تحقيق وتقديم. عبدالرحمن بدوي, ط٢ (الكويت: وكالة المطبوعات, ١٩٨٠), ١٦.

وممّا ورد في السّلوكيَّات قوله: **"خيرٌ من الخيرِ فاعلُهُ، وأجملُ من الجميلِ قائلُهُ، وأرجحُ من العلمِ حاملُهُ، وشرٌ من الشّرِ جالبُهُ، وأهولُ من الهولِ راكبُهُ"**[٤٧].

الفعل الكلاميُّ التّأثيريُّ جاء في صيغة التّعبيريَّات وفق أسلوب خبريٍّ يخرج عن مجرَّد الإخبار، ليفيد معنى تحريك الهمم واستنهاضها، فبيَّن فضل صانع الخير على خيره، وقائل الجميل على جميله، والعالم على علمه، وقد أثنى المتكلِّم على سلوك المرء، وسماته، وخلقه قبل صنيعه وعمله، كما ذمّ الشّر في قلب صاحبه قبل انبثاقه منه، فيسعى إلى تنبيه المتلقِّي، وتوعيته للتّبصُّر والنّظر إلى ما يُضمره الآخرون، ودأب يؤكِّد له أهمِّيَّة حسن نوايا المرء قبل صنيعهم، ويدعوه -في صيغة غير مباشرة- إلى تمثُّل قيم الخير وتشرُّبها، والتّحلِّي بالخلق، ونشر العلم، والنّأي عن الفتن والفساد، فالأذى قد يكون سلوكًا غير مقصود، والفتنة الّتي تُهلك البشر قد يتداولونها فيما بينهم من دون وعي، فيقصِّرون في استشراف نتائج ما تصنع أيديهم، وبذلك يصبح شرّهم أكبر، وتغدو أذيَّتهم أعظم.

قال الإمام ﷺ في الحسد: **"إيَّاكَ والحسد، فإنَّهُ يبينُ فيكَ، ولا يعملُ في عدوِّكَ"**[٤٨].

وردت الجملة في صيغة أسلوب التّحذير، وانطوت على التّحذير من الحسد وعواقبه الوخيمة، وقد حذَّر الله تعالى البشر من شرّه في قوله: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا** ﴾(النساء: ٥٤). ذلك أنَّ الحسد هو "أن يرى الرّجل لأخيه نعمة، فيتمنَّى أن تزول عنه [...] وللحسد درجتان: إحداهما أن يتمنَّى زوال النّعمة عن أخيه من غير أن تصير تلك النّعمة له، والثّانية أن يتمنَّى زوال نعمة المحسود وتحوُّلها إليه"[٤٩]، فالنّوع الأوَّل يشبه الشّعور بالغيرة، وهو لا يؤذي الآخر، بينما ينهش النّوع الثّاني كلًّا من الحاسد والمحسود، فيموت الأوَّل

٤٧ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٧٥ و٧٩, ٣٧٠.

٤٨ المجلسي, ٤٨.

٤٩ صليبا, جميل . المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية (بيروت: دار الكتب اللبناني, ١٩٨٢), ٤٧٣.

غيظاً وقهراً، ويواجه الثّاني الصّعاب والأذية من دون ذنب ارتكبه.

وجاء الرّابط التداوليُّ (فإنَّه)[٥٠]* ليسوِّغ أسباب هذا التّحذير ويوضِّحه، فهو هدّام لطاقة المرء وعزيمته، ومؤذٍ لصاحبه، ولا مفرّ من ارتداد شرَّه عليك، فأذيَّته ستنعكس في الحاسد، وتسبَّب تنامي الحقد والضّغينة، والانشغال عن بناء النّفس بأذيَّة المحسود، وانتظار جلب ملكه للحاسد، وهو سبب التّعاسة والقهر النّفسيِّ، ووجه من أوجه التّقاعس والاتّكال.

وقد ذكر الإسلام غيَّر مرَّة مشاقّ الحسد ومغبَّته، وعمل في أكثر من مقال على انتشال المرء من هذه الصّفة الذّميمة، وما أغزر عِبَرَ التّاريخ، وقصص الحسد الّتي هلك فيها الحسَّاد، ووقعوا في شرّ أعمالهم، وما أشدّ ما جرّه حسدهم على المحسودين من أذيّة وأسى، جعل ذلك ربِّهم يتوعَّدهم بالعذاب، كما ورد في قصَّة النّبيّ يوسف عليه السلام، فجاء قوله السّابق ليؤكِّد مساوئ هذه السّمة، ويبعث المؤمن على تحاشي الحسد، ويعزِّز مفهوم القناعة لديه.

ووجّه الإمام الهادي عليه السلام النّصح قائلاً: **"لا تطلبِ الصّفا ممّنْ كدّرتَ عليهِ، ولا الوفاءَ لمنْ غدرتَ بهِ، ولا النّصحَ ممّنْ صرفتَ سوءَ ظنِّكَ إليهِ، فإنَّما قلبُ غيرِكَ كقلبِكَ لهُ"**[٥١].

وردت الجملة الإنشائيَّة الطّلبيَّة في أسلوب النّهي، وأفادت معنى الطّلبيَّات في الامتناع عن انتظار محامد الأمور ممَّن أسأت إليه، ودعا إلى استشراف المستقبل في التّعامل مع الآخرين من جهة، والامتثال إلى حسن الأخلاق والفضيلة، وعدم الإساءة إليهم من جهة ثانية، وهي دعوة ضمنيَّة غير مباشرة؛ إذ لم يفصح المتكلِّم عن السلوكيَّات الّتي يتوقَّعها من المتلقِّي، بل دعاه إلى إدراك مضمونها، والتّأثُّر بفعل القول المطلوب، والعمل به، ويدلّ السّياق المرجعيّ على اعتماد المتكلِّم على وعي المتلقِّي، وإدراكه لنتائج أفعاله وردَّات فعله

٥٠ مانغونو, دومينيك. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب, ترجمة. محمد يحياتن, ط١ (الدار العربية للعلوم ناشرون, ٢٠٠٨), ٢٦.

٥١ المجلسي, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهارعليهم السلام، ج ٧٥ و٧٩, ٣٧٠.

* يُقصَد بالرّابط "الوحدات اللّغويّة/ المورفيمات الّتي تُقيم علاقة بين جملتين، وقد يتعلّق الأمر بالظّروف [...] والعطف [...] فهذه الأدوات تؤدّي دوراً ذا بال من حيث إنّها تضفي الاتّساق على النّصّ".

تجاهها، فما تزرعه في نفوس البريَّة ستحصده في تعاملهم معك، وسلوكهم تجاهك.

الخاتمة:

توصَّل البحث إلى جملة من النّتائج، هي:

١_ عُدَّ أسلوب الخبر والإنشاء الوجه البلاغيّ العربيّ لنظريَّة أفعال الكلام الّتي أثبتت أنَّ الكلام لا يصف العالم فقط، بل يدعو إلى عمل إنجازيٍّ معيَّن، وتوقُّف البحث عند أسلوب الخبر والإنشاء الّذي خرج عن معناه خروجًا بلاغيًّا عزَّز غايات تواصليُّة، وأفاد معاني جديدة تدعو المتلقِّي إلى القيام بأعمال إنجازيَّة معيَّنة تحدِّدها المعاني الضّمنيَّة، والمقاصد التداوليَّة الّتي تُدرَك من خلال المقامات السّياقيَّة.

٢_ تنوَّعت أفعال الكلام، وجاءت في صيغة الأمريَّات، بهدف فرض الطّاعة، طاعة الله، ورسوله، وأئمَّته، وجعلت الطّاعة ركيزة رئيسة، ومنهجًا راسخًا في أصول الدّين الإسلاميِّ، منهجًا يُثبت المؤمن من خلاله تمامَ الدّين وكمال العمل الصالح.

٣_ وردت الأفعال في صيغة التّأكيديَّات، مبيّنة وجوب الإقرار بالوعد والوعيد، والإيمان بيوم الجزاء والثّواب والعقاب، بغية تمكين العقيدة، وتهذيب الخلق، وتصفية الضّمائر، والإخلاص في الفعل، والزّهد في الدّنيا.

٤_ وجَّهت الأقوالُ اللّغويَّةُ سلوكَ النّاس تجاه أركان الإسلام المتمثِّلة في وجوب الزّكاة، ومنح الهبات والصّدقات، والصّدق في العطاء، فضلًا عن الالتزام في الصّلاة والصّيام بوصفهما ركنين جوهريّين.

٥_ وجاءت أفعالٌ كلاميَّة في صيغة التّوبيخيَّات والتّحذيريَّات، فحذَّرت المتلقِّي من الانحدار في مغبَّة الغضب، ومضارّ الحسد، وآثاره الهدّامة على الإنسان والمجتمع.

٦_ عُدّت التّعبيريَّات فعلاً كلاميًّا يحثّ المتلقِّي على تمثُّل قيم الخير والفضيلة، وحسن الخلق والعمل، وتجنُّب إيذاء الآخر، والسّعي إلى نيل العلم والمعرفة،

والتّسلُّح بالمعرفة الدّينيَّة والدّنيويَّة.

٧_حرَّكت الحكميَّات الكلاميَّة الهمم تجاه الشّكر، وعزَّزت واجب الحمد، وألْفَتْهُ صلة وصل بين الخالق والمخلوق، ودليلاً على الامتنان، والاعتراف بنعماء الله تعالى.

المصادر:

القرآن الكريم

أوستين, جون لانكشو. نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام. ترجمة عبدالقادر قنيني. المغرب-الدار البيضاء: أفريقيا الشرق, ١٩٩١.

ابن سينا. عيون الحكمة.تحقيق وتقديم عبدالرحمن بدوي. ط٢. الكويت: وكالة المطبوعات, ١٩٨٠.

البخاري, أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المجلد٢. ط١. مكة: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية, ١٤٤٢هـ.

البستي, أبو حافظ حاتم محمد بن حبان التميمي. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. تحقيق محمد عبد الفتاح إسماعيل. ط١. مركز تبصير, ٢٠٢٤.

الخليفة, هشام إ. عبد الله. نظرية الفعل الكلامي Speech Act Theory بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي بحث في علم الفعليات. ط١. الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان, ٢٠٠٧.

الطباطبائي, أبو الفضل, مهدي الإسماعيلي, محمد الموسوي, و عبدالله الصالحي. موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، ج١، اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر عليه السلام للدراسات الإسلامية. إشراف محمد الحسيني القزويني, أبو الفضل الطبطبائي, مهدي الإسماعيلي, محمد الموسوي, و عبد الله الصالحي. ط١. إيران: ساعدت وزارة الثقافة والإرشاد على طبعه, ١٤٢٤هـ.

القزويني, جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. ط٣. مصر: دار التوفيق النموذجية للطباعة, ١٩٩٣.

المجلسي, محمد باقر. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٧٥ و٧٩. بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٩٨٣.

اليوسف, عبد الله أحمد. الإمام علي الهادي عليه السلام قراءة تحليلية للسيرة الفكرية والسياسية في حياة الإمام الهادي عليه السلام. ط٢. إيران-طهران: دار البصائر, ٢٠٠٤.

ديك, فان, إلرود إبش, د.و فوكيما, جان كوهن, كبدي قاركا, وجان ستاروبانسكي. نظرية الأدب في القرن العشرين. ترجمة وتقديم محمد العمري. د.ط. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق, ١٩٩٦.

روبول, آن, وجاك موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل.ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني. ط١. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر, ٢٠٠٣.

صليبا, جميل. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية. بيروت: دار الكتب اللبناني, ١٩٨٢.

عشير, عبدالسلام. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج. المغرب: أفريقيا الشرق, ٢٠٠٦.

عليّ بن أبي طالب عليه السلام. نهج البلاغة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي. شرح صبحي أنوار الهدى الصالح. ط١. بيروت, ٢٠٠٦.

مانغونو, دومينيك. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطابترجمة محمد يحياتن. ط١. الدار العربية للعلوم ناشرون, ٢٠٠٨.

مسعود, صحراوي. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. ط١. بيروت: دار الطليعة, ٢٠٠٥.

مطلوب, أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها عربي- عربي. ط٢. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون, ٢٠٠٧.

هوانغ, يان. معجم أوكسفورد للتداولية (The Oxford Dictionary of Pragmatics). ترجمة هشام إبراهيم عبد الله الخليفة. ط١. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة, ٢٠٢٠.

يول, جورج. التداولية(PRAGMATICS). ترجمة قصي العتابي. ط١. الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون, ٢٠١٠.

References

The Glorious Qur'an

Al-Bukhari, A. A.(1442 H). Al-Jami' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min Umur Rasul Allah (P.B.U.H&H.P.P)wa Sunanihi wa Ayyamihi (Vol. 2) (1st ed.). Mecca: King Fahd National Library Catalog.

Al-Busti, A. H.(2024). Rawdat al-'Uqala wa Nuzhat al-Fudhala (M. A. I. Ismail, Ed.) (1st ed.). Markaz Tabseer.

Ali ibn Abi Talib 'alayh al-Salam. (2006). Nahj al-Balagha: Imam Amir al-Mu'minin Ali ibn Abi Talib 'alayh al-Salam (A Collection Selected by al-Sharif Abu al-Hasan Muhammad al-Radhi) (S. Anwar al-Huda, Ed.) (1st ed.). Beirut.

Al-Khalifa, H. E. A. (2007). Speech Act Theory: Between Modern Linguistics and Linguistic Research in Arab and Islamic Heritage: A Study in the Science of Actions (1st ed.). Egyptian International Publishing Company, Longman.

Al-Majlisi, M. B. (1983). Bihar al-Anwar al-Jami'a li Durar Akhbar al-A'imma al-Athar (Vols. 75 & 79). Beirut: Dar Ihyat al-Turath al-Arabi.

Al-Qazwini, J. D. M. (1993). Al-Iydah fi 'Uloom al-Balagha (M. A. Khefaji, Ed.) (3rd ed.). Egypt: Dar al-Tawfiq al-Namudhajiyya.

Al-Tabtabai, A. F., Al-Ismaili, M., Al-Mousawi, M., & Al-Salahi, A. (1424 H). Encyclopedia of Imam Al-Hadi ‘alayh al-Salam (Vol. 1). Committee of Scientific Research at the Foundation of Wilayat al-Asr for Islamic Studies (M. al-Husseini al-Qazwini, A. F. al-Tabtabai, M. Al-Ismaili, M. al-Mousawi, & A. al-Salahi, Supervisors) (1st ed.). Iran: Ministry of Culture and Guidance.

Al-Yusuf, A. A. (2004). Imam Ali al-Hadi ‘alayh al-Salam: A Critical Reading of the Intellectual and Political Biography in the Life of Imam al-Hadi ‘alayh al-Salam (2nd ed.). Tehran, Iran: Dar al-Basair.

Ashir, A. S. (2006). When We Communicate, We Change: A Pragmatic Approach to the Mechanisms of Communication and Argumentation. Morocco: Africa East.

Austin, J. L. (1991). General Theory of Speech Acts: How to Do Things with Words (A. Qanini, Trans.). Casablanca, Morocco: Africa East.

Dick, V., Elrod, D. W., Fokema, J., Cohen, K., Garca, K., & Starobinski, J. (1996). Literary Theory in the Twentieth Century (M. al-Amri, Trans.). Casablanca: Africa East.

Huang, Y. (2020). The Oxford Dictionary of Pragmatics (H. I. A. al-Khalifa, Trans.) (1st ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahida.

Ibn Sina. (1980). Uyoon al-Hikmah (A. Badawi, Ed.) (2nd ed.). Kuwait: Agency for Publications.

Manguno, D. (2008). Key Terms for Discourse Analysis (M. Yahyatin, Trans.) (1st ed.). Arab Science Publishers.

Mas'ud, S. (2005). Pragmatics among Arab Scholars: A Pragmatic Study of Speech Act Phenomena in Arabic Linguistic Heritage (1st ed.). Beirut: Dar al-Tali'a.

Matloub, A. (2007). Mu'jam al-Mustalahat al-Balaghiya wa Tatawwuruha: 'Arabi - 'Arabi (2nd ed.). Beirut: Maktabat Lubnan Nashirun.

Robul, A., & Moshlard, J. (2003). Pragmatics Today: A New Science of Communication (S. Daghfus & M. al-Shibani, Trans.) (1st ed.). Beirut: Dar al-Tali'a for Printing and Publishing.

Saliba, J. (1982). Al-Mu'jam al-Falsafi bil-Alfaz al-'Arabiyya wa al-Faransiyya wa al-Ingliziyya wa al-Latiniyya. Beirut: Dar al-Kutub al-Lubnaniyya.

Yul, G. (2010). Pragmatics (Q. al-'Atabi, Trans.) (1st ed.). Rabat: Arab Science Publishers.